**الأستاذ المسؤول عن المقياس : بن عيسى خيرة .**

**مقياس : مدارس فلسفية يونانية .**

**المستوى السنة الثانية : LMD s3**

**المحاضرة الأولى : مدخل عام حول الفلسفة اليونانية .**

إن اسم الفلسفة اليونانية لا يطلق عليها من الناحية الجغرافية ،لأنها نشأت خارج أرض اليونان في مستعمراتها الكثيرة ولم يحصل أن ظهرت الفلسفة في اليونان جغرافيا إلا مع"سقراط"في أثينا "ففي العصور القديمة للتاريخ هاجر يونانيو الأرض الأم إلى جزر بحر إيجة وصقلية وجنوب ايطاليا وساحل أسيا الصغرى وفي أماكن أخرى وأسسوا مستعمرات مزدهرة"[[1]](#footnote-2)،ومن ثمة برز أشهر فلاسفة اليونان من هذه المستعمرات ،ومثال ذلك زعماء المدرسة الطبيعية الأولى كانوا من أيونيا ببلدة مالطية التي تقع في ساحل آسيا الصغرى موجودة حاليا في غرب تركيا.

أما تاريخ نشأة هذه الفلسفة فقد كان في القرن السادس قبل الميلاد مع فيلسوف أيونيا "طاليس المالطي"،الذي مثل "نقطة تحول من التفكير الأسطوري إلى التفكير الفلسفي في القرن السادس قبل الميلاد.يعتبر أول الفلاسفة اليونان عاش ما بين (627-546ق.م)"[[2]](#footnote-3).

**أولا/إشكالية نشأة الفلسفة:**

إن كلامنا عن الفلسفة ونشأتها يقودنا إلى إشكالية أساسية في تاريخ الفلسفة كله تمحورت حول أصل الفلسفة وبداياتها الأولى بين من يؤكد أن الفضل في ذلك يعود إلى الحضارات الشرقية القديمة،وبين من يعتبر أن اليونانيين هم المؤسسين الأوائل للفلسفة،وهذه مسألة يطول الكلام فيها لأنها تستوجب النظر في طبيعة تفكير الحضارات الشرقية ونوعية الإجابات التي قدمتها حول الأسئلة التي كان يطرحها إنسان ذلك الزمن،والنظر كذلك في طريقة اليونانيين في التفكير وإجاباتهم وتفسيراتهم ،ومن ثمة المقارنة بينهما،لذلك سنحاول أن نقدم لمحة موجزة مع توظيف بعض الأمثلة،ونشير بالمقابل إلى تفكير الفلاسفة اليونان ثم نخرج بخلاصة تفصل بين الموقفين .

إن هذا الفصل بين الموقفين سيستند إلى اعتبارات معينة أهمها أصل كلمة فلسفة أولا،ثم البحث عن مدى توافق تفكير الشرق أو اليونان مع نوع التفكير المتميز الذي يشير إلى التفلسف كمنهج عقلي نسقي منظم يستند في إجاباته على أسئلة الكون والإنسان على العقل متفاديا في ذلك الإجابات الساذجة القائمة على الأساطير والأفكار اللاهوتية الغيبية.

**1/نشأة الفلسفة في الحضارات الشرقية:**

مثل هذا الموقف مجموعة من الفلاسفة الذين أكدوا أن الفضل في نشوء الفلسفة يعود إلى الفكر الشرقي القديم La Pensée en Orient Antique ،ومن أشهر حججهم أن التفلسف كنوع من التفكير في مسائل الكون والإنسان ليس حصرا على اليونان،لأن الفلسفة"ظاهرة إنسانية عرفتها كل المجتمعات"[[3]](#footnote-4)،كما أن المسائل التي انشغل بها الإنسان الشرقي وحاول الإجابة عليها هي من صلب المسائل الفلسفية الكبرى التي طرحها اليونان خاصة تلك التي ارتبطت بالكون والإنسان والظواهر الغيبية ،كالموت والخلود والنفس والمبدأ الأول لكل الأشياء والجوانب الأخلاقية والعلاقات الاجتماعية والسياسية ،وحتى القول بأن أصل الأشياء هو الماء في القرن السادس قبل الميلاد لم يكن طاليس المالطي هو القائل الأول بهذه النظرية بل سبقه الشرقيون إلى ذلك ،وتكلم البابليين عن إشكالية الموت والخلود من خلال ملحمة جلجامش المشهورة ،ناهيك عن كتاب الموتى الذي كتبه المصريون في حوالي 1400قبل الميلاد،والذي تناولوا فيه مسألة الخلود والحياة بعد الموت خاصة.

لقد كانت هذه بعض الحجج التي برهن بها بعض الفلاسفة والدارسين لتاريخ الفلسفة على أن الشرق هم الفلاسفة الأوائل ثم ظهر اليونانيون الذين أسسوا كل فلسفتهم من أرض الشرق الخصبة،لكن هذا الأمر يحتاج إلى دراسة عميقة ونقد موضوعي تفاديا للانزلاق،وربما يكون ذلك بتحديد طبيعة التفكير في الحضارات الشرقية القديمة وطريقة الإجابة ومقارنتها مع طريقة اليونان،وهو ما سنحاول إيجازه فيما يلي:

**طبيعة التفكير في الحضارات الشرقية القديمة:**

كل ما أنتجته الحضارات الشرقية القديمة كان لغايات دينية وحاجات عملية ،لأنها كانت تبحث عن الطريق الذي يجب أن يسلكه الإنسان لتحقيق الخلاص أو الإتحاد،كاتحاد الأتمان بالبراهمان في الحضارة الهندية ،فالمعرفة لم تكن لذاتها بل كانت لغايات عملية .

تفسير الحضارات الشرقية القديمة للظواهر الطبيعية والإنسانية لم يكن تفسيرا عقليا علميا،بل كان يعتمد على إجابات رمزية أسطورية كانت تتصورها حول مظاهر الحياة والطبيعة(الموت –تعاقب الليل والنهار...)وأساطيرهم كثيرة في هذا المجال كأسطورة الخلق عند البابليين.

**2/مهد الفلسفة هم اليونان:**يقول فرديرك كوبلسون:إن"الفلسفة اليونانية هي في الواقع ثمرة انجاز اليونان الخاص وثمرة قوة ذهنهم ونضارته ،تماما مثل إنجازهم الخاص في الأدب والفن"[[4]](#footnote-5)،لقد كانت بداية الفلسفة مع اليونان لأنهم أول من حاول أن يجيب على سؤال ما أصل الكون بأسلوب علمي قائم على الملاحظة والتجربة ،وذلك مع الفلاسفة الطبيعيين الأوائل في القرن السادس قبل الميلاد الذين تجاوزوا التفسيرات الغامضة وحاولوا البحث عن أصل الكون بالنظر في مكوناته،أي فسروا الطبيعة بالطبيعة نفسها.

إضافة إلى اهتمام اليونان بالمسائل الكوسمولوجية،اهتموا كذلك بالنظر في الألوهية التي بلغت أوج نضجها مع أفلاطون وأرسطو ،وكان أول من لفت الانتباه إليها الشاعر اليوناني "أكزينوفان" الذي خلُص "إلى الاعتقاد بإله واحد وصفه بأنه لا يشبه الإنسان لا في صورته ولا في فكره ،وأنه يرى ككل ويفكر ككل ويسمع ككل ،فوعي الإله ليس معتمدا لديه على أعضاء حسية أو على أي شيء يضاهيها"[[5]](#footnote-6).

كما أن أصحاب هذا الموقف أكدوا أن الحضارات الشرقية كانت متطورة في مجال الفلك والفن لكنها لم تنتج الفلسفة،ومثل هذا الموقف ولتر ستيس حيث يقول:"لقد كانت هناك حضارات عظمى في مصر والصين وآشور وهكذا،ولقد أنتجت هذه الحضارات الفن والدين ولكن ما من فلسفة يمكن الحديث عنها"[[6]](#footnote-7).

إن الفكر مع اليونان توجه نحو التجريد،وإن كانت الأجوبة التي قدموها حول أصل الكون كانت من طبيعة مادية ،فان العقل هو الذي صاغها.

اعتماد اليونان على الأسطورة في فلسفتهم لم يكن لغاية تفسير العالم برموز وصياغات غيبية ؛بل إن الأسطورة امتزجت بالتفسيرات العقلية ونتج عن ذلك نظريات فلسفية كبرى كنظرية المثل عند أفلاطون ،وهو ما يشير إلى أن الأسطورة هي من دعائم الفكر الفلسفي،وهي كذلك باقية في الوجود البشري بقاء الإنسان.

سننتقل مباشرة إلى الفلسفة اليونانية باعتبارها مجال بحثنا،وذلك من خلال الكلام أولا عن نشأتها ومراحلها،ثم بعد ذلك نقدم دراسة تفصيلية نتناول من خلالها عناصر الفلسفة اليونانية،فلاسفتها وأكبر إشكالاتها،بداية من القرن السادس قبل الميلاد.

**ثانيا:مراحل الفلسفة اليونانية :**يشير الكثير من الدارسين والمؤرخين لتاريخ الفلسفة اليونانية إلى مراحلها،التي اختلفوا في تحديدها وفقا لمنطلقات تاريخية ومعرفية برر بها كل منهم موقفه في طبيعة ذلك التقسيم،وأشهر تلك التقسيمات هي التي تتكلم عن مرحلة النشأة مع الفلسفة قبل سقراط ومرحلة النضج مع سقراط وأفلاطون وأرسطو،ثم المرحلة المتأخرة بعد أرسطو وهي مرحلة الفلسفة الهلنستية،وقد مثلت كل مرحلة منها مستوى معين من النضج والتأخر،واختصت بتساؤل متميز فصل كل مرحلة سابقة عن لاحقتها،وجعل كل واحدة منها مقدمة لما بعدها،ويمكن اختصار خصائص كل مرحلة فيما يلي:

**أ/المرحلة الأولى:القرنين السادس والخامس قبل الميلاد**

هي مرحلة الفلسفة الطبيعية(الطبيعة-Phusis)،بحيث حاول فلاسفتها الإجابة على سؤال ما أصل الكون،فمن خلال ملاحظتهم للتغير المستمر للموجودات وانتقالها من مرحلة إلى ضدها (الموت –الحيات،الليل – النهار...)،تنبهوا إلى أنه يوجد مبدأ نهائي أولي وواحد وراء كل ذلك

**ب/المرحلة الثانية:** مرحلة تحول حاسمة في تاريخ الفلسفة اليونانية من النظر في الطبيعة إلى التأمل في الإنسان وما يرتبط به من مشكلات أخلاقية وسياسية ومعرفية،وأول من قاد هذا التوجه هم السفسطائيين وتبعهم في ذلك سقراط.

تنوع التأملات الفلسفية وتطور النظر العقلي،فهي مرحلة شهدت تكون مذاهب فلسفية كبرى مع أفلاطون وأرسطو .

ظهور المنهج الجدلي من خلال طريقة سقراط وأفلاطون في وضع المذهب الأخلاقي،فاشتهر الأول بمنهج التهكم والتوليد،والثاني بالمنهج الجدلي،أو كما يسمى الديالكتيك، المنطق كمنهج جديد للتفكير ابتدعه أرسطو ووضع آلياته ومبادئه ،وهو آلة تمنع الفكر من الوقوع في الزلل.

إلا أن هذا التحول لا يعني أن اليونانيين توقفوا عن النظر في المسائل الطبيعية ،بل ظل ذلك الاهتمام مستمرا وعرف تطورا خاصة مع أفلاطون وأرسطو ونظريتهما في العالم،أما الأسطورة فقد بقيت هي الأخرى حاضرة في التفكير اليوناني لكن مع توظيفها بطريقة جديةة ؛أي لصياغة نظريات فلسفية كما فعل أفلاطون من خلال توظيفه لأسطورة الكهف وأسطورة العربة في محاورة طيماوس.

**ج/المرحلة الثالثة:مرحلة التراجع :**

تميزت بكونها فلسفة ذات طابع عملي أخلاقي بحيث تراجع الاهتمام بالمسائل الفيزيقية وحتى الميتافيزيقية ،وكل فلسفة كانت في هذا المجال الأخير لم تكن من أجل المعرفة لذاتها بل كانت لغايات أخلاقية عملية غرضها خدمة الإنسان في حياته اليومية في ظل الظروف التي عرفتها اليونان بعد موت الإسكندر الأكبر(توفي323ق.م)وسقوط الإمبراطورية اليونانية وتحولها إلى مجرد ولاية في الإمبراطورية الرومانية،تدهور الظروف السياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية أدى إلى التفات الفرد إلى ذاته (تربية ،إرشاد،توجيه،سعادة...)،فقد"كانت مهمة الفيلسوف على وجه الدقة هي أن يزود الفرد بقاعدة للسلوك تمكنه من قيادة سفينته في بحر الحياة"**[[7]](#footnote-8)** .

تميزت كذلك بعودة فلاسفتها إلى الفلسفة ما قبل سقراط،فتأثرت الرواقية بهراقليطس في جانب الفيزيقا وبالمدرسة الكلبية في مجال الأخلاق،وتأثرت الأبقورية بالمدرسة الذرية من خلال فلسفة دموقريطس،وكذلك بالأخلاق القورينائية.

الاتجاه نحو النزعة الصوفية الروحية وتراجع الفلسفة النظرية. في المرحلة المتأخرة من الفلسفة الهلنستية تطورت العلوم،"فهذا العصر الهلنستي ظهرت فيه المؤسسات العلمية والمتاحف والكليات بصفة عامة في المدن الرئيسية العظيمة مثل الإسكندرية وأنطاكية وبرجامون**[[8]](#footnote-9)\***" **[[9]](#footnote-10)**.

1. ولتر ستيس،تاريخ الفلسفة اليونانية،ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت ،ط2-2005،ص ص23- 24. [↑](#footnote-ref-2)
2. محمد جديدي،تاريخ الفلسفة الإغريقية،منشورات الاختلاف الجزائر،الطبعة الأولى 2009.ص109. [↑](#footnote-ref-3)
3. - المرجع السابق،ص17. [↑](#footnote-ref-4)
4. - فردريك كوبلسون تاريخ الفلسفة –المجلد الأول(اليونان واللرومان) ،ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ،المجلس الأعلى للثقافةالقاهرة،ط1-2002،-ص39. [↑](#footnote-ref-5)
5. -مصطفى النشار،تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي،الجزء الأول ،السابقون على السفسطائيين ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة 1998،ص68. [↑](#footnote-ref-6)
6. - ولتر ستيس نتاريخ الفلسفة اليونانية،ص21. [↑](#footnote-ref-7)
7. - فردريك كوبلسون تاريخ الفلسفة –المجلد الأول(اليونان واللرومان) ، ص510. [↑](#footnote-ref-8)
8. \* برجامون مدينة في الجزء الغربي من تركيا ،كانت فيما مضى عاصمة مملكة برجامون القديمة ،أنظر فردريك كوبلسون تاريخ الفلسفة –المجلد الأول(اليونان والرومان)،ص541.- [↑](#footnote-ref-9)
9. - فردريك كوبلسون تاريخ الفلسفة –المجلد الأول(اليونان والرومان)،ص541. [↑](#footnote-ref-10)